البوكر.. موسم القراءة

البوكر ليست جائزة شخصية بقدر ما هي جائزة عامة، وعلامة جذب كبيرة تشد القريب والبعيد، ذلك الشد الذي نتمناه دائما ونتمنى أن يثمر في إيجاد حلول ذات يوم في ما يختص بإدراك المعرفة

د.أمير تاج السر - الدوحة
كاتب وروائي

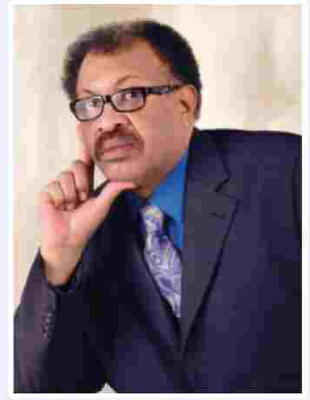

كما هو معروف، بالإضافة لعدد من الجوائز التقليدية الموجودة في العالم العربي منذ عهد، فقد استحدثت في السنوات الأخيرة كثير من الجوائز الجيدة التي تهتم بالإبداع عامة والإبداع الأدبي خاصة، منها جائزة الشيخ زايد في الإمارات العربية، وجائزة سويرس في مصر، وعديد من الجوائز في المغرب العربي والأردن والسعودية وغيرها.

لكن أهم جائزة استحدثت منذ سبع سنوات، في رأيي ورأي الكثيرين، كانت الجائزة العالمية للرواية العربية المسماة: بوكر العربية، التي ولدت في دولة الإمارات العربية بشراكة مع جائزة مان بوكر البريطانية العريقة.

أهمية بوكر العربية لا تأتي من القيمة المادية لها -وهي ليست مبلغا كبيرا جدا- إذا ما قورنت بجائزة الشيخ زايد وجوائز عربية أخرى، ولكن من كونها الجائزة الوحيدة التي لا يغلق ملفها باستلام الفائزين لمكافآتهم في حفل التسليم، والوحيدة التي يسبق إعلان قوائمها كثير من التوتر الذي يستمر من إعلان القائمة الطويلة، إلى القصيرة، إلى الجائزة الكبرى، وما بعد ذلك أيضا.

التوتر لا يخص كتاب الرواية الذين ترشحهم دور النشر في كل عام، ولكن حتى القراء المداومين وغير المداومين على القراءة، حين ينتظرون القائمة الطويلة لبدء تقليبها واختيار الكتب المدرجة فيها لقراءتها والتعليق عليها سلبا أو إيجابا في مواقع القراءة المنتشرة على الإنترنت.

وبمروري على تلك المواقع بدافع الفضول، دائما ما أجد قراء يكتبون أنهم يملكون بعض هذه الروايات مهملة في مكتباتهم، لكنهم لم يلتفتوا إليها إلا بعد دخولها قائمة البوكر، وبالتالي أصبح من الضرورة أن يعرفوا ما فيها ولم تم اختيارها، لتركض في تلك المسابقة الكبيرة.

أيضا بالنسبة للناشرين، وأصحاب المكتبات، هنا حتما يزداد الطلب على روايات قائمة البوكر، ويمكن ملاحظة ذلك في مواقع القراءة أيضا، حين يضيف القراء كتب القائمة إلى صفحاتهم كمشاريع لقراءة لاحقة، وبعضهم يوصي بها لأصدقائه، وبالتالي نحصل على موسم قراءة مزدهر بحق.

إذن البوكر ليست جائزة شخصية بقدر ما هي جائزة عامة، وعلامة جذب كبيرة تشد القريب والبعيد، ذلك الشد الذي نتمناه دائما ونتمنى أن يثمر في إيجاد حلول ذات يوم في ما يختص بإدراك المعرفة، فالقراءة واكتساب المعرفة في رأيي، ليست قراءة روايات ترد في قائمة لجائزة، ولكنها أكبر من ذلك.

هناك معرفة في قراءة كل شيء، حتى قراءة الوجوه والشوارع، وخفايا النفوس، وهذا بالضبط ما يفعله الروائيون العظام، حتى ينتجوا أدبا رفيعا جديرا بالاحتفاء به. والقارئ الذي لا تعجبه رواية عظيمة مليئة بالمعرفة، ويقوم بازدرائها، لمجرد أنه لم يتذوقها أو لم يسع لتذوقها، لا يدرك كم أنفق كاتبها من جهد جبار ليلمّ المعرفة ويهضمها، ويلخصها له في عمل أدبي كبير أو صغير.

والقارئ لروايات صغيرة الحجم مثل: راوية "الأفلام" لإيرنان ريبيرا، أو "حجر الصبر" للأفغاني عتيق رحيمي، يدرك بسهولة ذلك الكم الهائل من الثقافة والمعرفة بأشياء كثيرة، قدم له في روايتين صغيرتين جدا.

أعود إلى جائزة البوكر، وأعود إلى الضجة الكبرى التي تصاحب ظهور قوائمها في كل عام. فمن المعروف أن الكاتب لا يقدم نصه، ولكن يتم ترشيحه من قبل الناشر ويعلم الكاتب بذلك ليوقع على استمارة الترشيح، وفي هذا الإطار يمنح جميع الناشرين فرصة أن يرشحوا ثلاثة أعمال بغض النظر إن كان الناشر كبيرا وراسخا في سكة النشر أو حديث عهد بها.

وبالتالي نجد التنافس كبيرا جدا، ويزداد عدد الأعمال المرشحة في كل عام، وبوجود باب واسع كهذا ومفتوح للجميع، لا بد أن تحدث فوضى ما، وأن يتم ترشيح أعمال لا ترقى لأي مستوى، وما تفعله هو زيادة العبء والإرهاق للجان التحكيم التي تضطلع بهذه المهمة الشاقة.

ولأن نافذة البوكر هي النافذة الوحيدة المفتوحة للأدب العربي تقريبا ليطل برأسه على العالم عبر الترجمات، فمن المتوقع أو من المأمول دائما أن يتم اختيار الأعمال بنزاهة وحكمة، لأننا حين نطل على الغريب ينبغي أن نطل متأنقين ومتزينين وليس بغبارنا أو كآبتنا.

وهنا تبرز المشكلة، فما أراه أنا مثلا عملا عظيما، يراه غيري بلا أي قيمة، والعكس صحيح. والمحكم بالضرورة قارئ، ويملك تذوقه الخاص للأدب، هو يضع معيارا للجودة والكفاءة أولا، ولكن لا بد من التذوق.

وفي قراءة سريعة لسباق سبع سنوات من ميلاد البوكر العربية في عالمنا، نجد نجاحات كبيرة، وأيضا ثمة إخفاقات. لقد حصلنا بالفعل على مواسم قراءة ممتازة مع أغلب الدورات، ومواسم قراءة ليست جيدة تماما مع دورات أخرى، حصلنا على كم هائل من الروايات التي أنتج بعضها بتعجل للحاق بموعد الجائزة، وروايات كتبت بتأن، وعيون أصحابها بعيدة عن الجائزة، لتدركها الجائزة، وتتوجها.

وقد ساهم ذلك في ظهور أسماء لم تكن معروفة بشكل كبير في الماضي، لتترسخ بعد ذلك في عالم الكتابة، وتنتج بمعنويات عالية. وكذا الحال في كل عام، فقوائم البوكر كما يبدو تعمل نيابة عنا في اختيار العناوين المرشحة للقراءة، وسط آلاف العناوين التي باتت تنتج سنويا ولا يستطيع أحد أن يلاحقها.

وقد أشرت كثيرا إلى موضوع تراكم الروايات، وكيف أن كتابتها أصبحت سهلة جدا، حين لم يعد الناس يبدؤون طريقهم في الكتابة بالقصيدة أو القصة القصيرة كما كان سائدا في الماضي، بل يبدؤون بالرواية مباشرة، وحتى الشعراء أنفسهم -ومنهم من يحمل تاريخا طويلا من الشعر- داخل وجدانهم

الآن توجهوا لكتابة الرواية، وكأن الرواية أصبحت فرضا من الفروض، يجب على الجميع اتباعه.

أيضا من إيجابيات بوكر العربية أنها أوجدت لنا ما تسمى بالندوة، وهي ورشة عمل سنوية تهيأ لها الأجواء في منتجع راق في الإمارات، ويحضرها شباب الكتاب، تحت إشراف مباشر من كتاب مخضرمين كانوا مرشحين للجائزة أو حصلوا عليها بالفعل.

تلك الندوة ذات قيمة كبيرة. إنها تتيح الاحتكاك المباشر بين جيل قدم تجربته وجيل يستعد لخوض تجربته الخاصة، هذا ما نفتقده حقيقة، وقد كان الاحتكاك قديما عشوائيا ويأتي دائما بالمصادفة في المقاهي مثلا، ولكن بهذه الطريقة الراقية المنظمة، وجو التفرغ المتاح، نستطيع أن نحصل على نتاج ممتاز، نسعد به ويسعد القارئ معنا.

منذ أيام عدة أعلنت القائمة الطويلة لجائزة هذا العام، وكالعادة صاحبتها الضجة المعتادة، هي قائمة تضم كتابا مخضرمين، بتجارب كبرى، وكتابا جددا من الشباب، وأرى أن التنافس فيها جيد، فقط لننتظر ونرى.

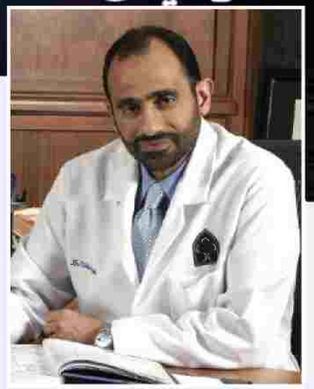

اختطاف العقل

إن المعركة الحقيقية التي تواجه أمتنا في هذه الحقبة من الزمن ليست معركة احتلال أرض كما كان في أزمنة سابقة، إنما هي معركة احتلال فكر وعقل يقابلها مقاومة لتحرير فكر وعقل، وتبدلت طبيعة المعركة من إحلال شعب مكان شعب إلى إحلال فكرة مكان فكرة ومبدأ مكان مبدأ وعقيدة مكان عقيدة، فالإنسان هو قوة الحياة وهو الذي يدفع ويدافع، والأرض لا تملك إلا أن تستجيب لحركة الإنسان.

د. وليد فتيحي

وأصبحت القاعدة في تلك المعارك هي: إذا أردت أن تحتل أمة أو تستعمرها (الاستعمار بمعناه التخريبي لا الإصلاحي) فاستعمر فكرها واهزم عزيمتها وإيمانها بقضيتها، فإن فعلت أتتك أرضهم وخيراتهم تسعى إليك طواعية.

نشرت جريدة النيويورك تايمز في عددها الصادر في التاسع من فبراير 2002 مقالاً بعنوان Hijacking the Brain اختطاف دورة الدماغ.. تبدأ الكاتبة بقولها: قد لا يبدو أن هناك علاقة واضحة بين الإدمان على لعب القمار أو الحرص على حضور المباريات الرياضية أو الحماس للاستثمار في الأسهم، لكن علماء الأعصاب اكتشفوا علاقة بين كل الأنشطة التي يقوم بها الإنسان على الرغم من تفاوتها واختلافها.

ويعتقد الباحثون بناء على الاكتشافات الحديثة في هذا العلم أن معظم - إن لم يكن جميع - تصرفات الإنسان تخضع لدورة دماغية تتكون في الإنسان، وفي الحيوان، وتتطور على مدى مراحل النمو، وهي المسؤولة في الحيوان عن تقدير المكافأة على أي عمل، وتعمل على ضمان البقاء، أما في الإنسان فإنها تشمل كذلك المكافآت الاجتماعية وكذلك معظم تصرفات الإنسان وقراراته.

وأعجب ما في هذا الاكتشاف الطبي الحديث هو أن النظام الدماغي والعصبي الذي يكتشف ويخمّن ويتوّم ويقدّر هذه المكافآت الاجتماعية والتي بدورها تتحكم في قرار الإنسان، هي في الحقيقة تعمل كلية خارج نظام ونطاق العقل الواعي.

يقول الدكتور برن (Gregory Berns) وهو عالم نفس من جامعة إموري (Emory): في اعتقادي أن معظم قرارات الإنسان تصنع في العقل اللاواعي، مع وجود تدرج في مدى الإدراك.

وأضاف: إنني لا أذكر تمامًا كيف وصلت إلى عملي هذا الصباح، حيث يحتفظ الدماغ الواعي بالأشياء الأكثر أهمية، ولكن كيف يستطيع العقل أن يقرر أي الأشياء يجب تركيز العقل الواعي عليها، والجواب هو أن الدماغ يتطور منذ الأيام الأولى من حياة الإنسان بناء على ما يشاهده ويعايشه.

ويقوم الدماغ ببناء نموذج داخلي لكل شيء تقع عليه العين وتسمعه الأذن، وتدريجيًّا يتعلم كيف يمكن تحديد هذه الأشياء والتنبؤ بالتصرفات المتوقعة منها.

وفي حالة دخول معلومات جديدة من الخارج على الدماغ، فإن الدماغ يعمل بصورة تلقائية، فيقارن بين المعلومات الجديدة وبين النموذج الداخلي، فإذا طابقت النموذج الداخلي؛ مثل قيادة السيارة إلى العمل والمرور على المشاهد اليومية النمطية بدون أي تعليق، فإن المشاهد المتكررة المعتادة المألوفة لا تصل إلى العقل الواعي. ولكن في حالة وجود مفاجأة مثل رؤية حادث سيارة في الطريق يكون هناك تفاوت بين المتوقع والواقع، فيتحول الدماغ فورًا إلى حالة جديدة من العقل الواعي، ويحتفظ الدماغ ببنك للمعلومات بناء على الخبرة التي اكتسبها الدماغ خلال حياته.

وتشكل هذه المعلومات المرجعية التي يعتمد عليها الدماغ في صنع القرار، ولكن هذه المعلومات في حد ذاتها هي كذلك حصيلة ما تقع عليه العين وتسمعه الأذن ويعايشه الإنسان في حياته ليخزن - دون إدراك الإنسان - في عقله اللاواعي.

وقد اكتشف الباحثون المادة الكيميائية المسؤولة عن التحكم في هذه الدورة الدماغية وتسمى بالدوبامين Dopamine وفي حالة توافق الحدث مع المتوقع، فإن الدوبامين يفرز بكمياته المتوقعة المعتاد عليها لمثل هذا الحادث، أما في حالة حدوث مفاجأة أعلى من المتوقع لمثل هذا الحدث فإن الدوبامين يفرز بكميات كبيرة ويرسل إشارات لأجزاء الدماغ لحثّها على القيام بالعمل والحركة والتصرف المنشود رغبة في إحداث إفراز أكبر لهذه المادة.. وفي حالة أن تكون نتائج الحدث أسوأ من المتوقع فإن الدماغ لا يفرز مادة الدوبامين، فيصاب الإنسان بحالة إحباط وعدم رغبة في الحركة والعمل لانخفاض إفراز الدوبامين في الجسم.

ويؤكد العلماء أن المعادلات الرياضية التي يستخدمها علماء الاقتصاد لدراسة وفهم تغيرات السوق الاقتصادي هي ذاتها المعادلات الرياضية التي يستخدمها علماء النفس وعلماء الأعصاب والدماغ في دراسة وفهم تغيرات إفرازات مادة الدوبامين، ويؤكد الدكتور مونتاغو Read Montague من جامعة بايلور أن علم الأعصاب والدماغ قد يقدم مجموعة عوامل جديدة تمامًا لفهم طريقة صنع القرارات الاقتصادية.

وتؤكد طرق تطور الدماغ الحديث دور الدوبامين في الجزء الأمامي من الدماغ (الناصية) في إحداث نشوة المكافأة أو إحداث خيبة الأمل والإحباط.

علينا هنا أن نقف وقفة جادة لنسأل أنفسنا كأفراد ومجتمعات: ما هو دور الزخم الهائل من المعلومات المدروسة التي تنهال علينا ليل نهار، وتنقل لنا في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ونمط الحياة الذي يفرض علينا، وكله من تدبير وصنع وتخطيط غيرنا؟!

ما دور كل هذا في صنع عقلية الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي وفي قدرته على صنع قراراته المستقلة الصغيرة منها والكبيرة؟!

وما هي الخلفية العقلية والنفسية لهؤلاء الذين يصنعون القرارات الجسيمة والعظيمة لخير أمة أخرجت للناس؟ هل هي نَاصِيَةٌ صادقةٌ صائبةٌ؟ أم نَاصِيَةٌ كاذبةٌ خاطئةٌ؟

إن ما ذكر أعلاه لا يتعارض البتة مع تعاليمنا الإسلامية، بل يؤكد مفهومًا إسلاميًّا مهمًّا، ألا وهو دور المناخ والمحيط وتأثيره في صناعة عقل وفكر الإنسان وقراراته، وليس من تعارض مع قوله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) أي طريق الصواب وطريق الخطأ، حيث إن الآية لا تعني بالضرورة أن قرارات الإنسان جميعها تخضع للعقل الواعي، فالمناخ الذي يعيش فيه الإنسان وما تقع عليه عينه وتسمعه أذنه، ومن يصاحب ومن يعاشر وما يقرأ - كلها عوامل تساعد على صنع قراره، وتعمل دون الإدراك ودون الحس ودون العقل الواعي في تأثيراته.

وإن كان الإنسان مخيرًا في منشئها فهو مخير في انتقاء كثيرٍ مما يقرأ ويسمع ويرى، ومن يصاحب. ولكن لكل خيارٍ واعٍ تبعات وتأثيرات تعمل دون الإدراك ودون الوعي ودون الإحساس لتشكل المرجعية العقلية والنفسية التي تصنع القرارات والتصرفات المستقبلية.

إن مسؤولية مجتمعاتنا تتمثل في ضرورة صنع المناخات التي تشكل البيئة الصالحة والتربة الخصبة لإنجاب عقلٍ لا يحيد عن طريق الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إن علينا أن نسأل أنفسنا كأفراد ومجتمعات عن دور الزخم الهائل من المعلومات التي تصدرها لنا الأمم الأخرى وتُسلّط علينا ليل نهار وتُلَقّن لنا في شتى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، بل ونمط الحياة الذي يُفرض علينا، وكل ذلك من تدبير وصنع وتخطيط غيرنا، ما دور كل هذا في صنع عقلية الفرد

المسلم والمجتمع الإسلامي والتأثير في قدرته على صنع قراراته باستقلالية، وعلينا أن نعي أن صناعة الفرد المسلم، وصناعة المجتمع الإسلامي لا تكون بمعزل عن كل ما يدور حول الفرد وما تقع عليه عيناه وتسمعه أذناه ويشاهده ليل نهار.

لمشاهدة الفيديو (ومحياي - اختطاف العقل)